

القوالب حتى القاذورات و الأعيان النجسة - شخصية كانت أو نوعية - و منشأ تخصصات الأفعال و الآثار خصوصيات الأعيان الثابتة التي ما شمت رائحة الوجود . إذا عرفت هذا فقس عليه أفعال العباد و اجعلها وقاية عن نسبة الشرور و الآفات الى الحق الجواد .



فهذه صورة المسألة عند هؤلاء الأكابر ، و أمّا البرهان اليقيني المناسب لأهل البحث على هذا المطلب الشريف فهو مثبت في بابه ، ليس هنا مجال بيانه ، لأنّه يطول به الكلام و يخرج عمّا نحن بصدده من المرام .

### المقالة السادسة

في معنى قوله سبحانه : ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلاّ باذنه ﴾

و فيه مشاعر :

#### المشعر الأوّل

في معنى «الشفاعة»

أعلم أنّ الشفاعة - أي ما به يصير الشخص شفيحاً - هو نور يشرق من الحضرة الالهية على جواهر الواسائط بينه و بين النازلين في مهوى البعد و النقصان ، به يجبر النقائص الحاصلة من تضاعف الامكان ، فالمتوسطون في سلسلة البدو : هم العقول الفعّالة ، ثمّ النفوس العمّالة ، ثمّ الطبايع النقالّة الكلية . و في سلسلة العود : الأنبياء ، ثمّ الأولياء ، ثمّ العلماء .

فكما أنّ الأشخاص هناك يتقومّ بالطبايع ، و هي يتقومّ بالنفوس ، و النفوس يتقومّ بالعقول ، و نور الوجود إنّما تفيض من الحقّ تعالى على الكلّ لكن على العقول بالاستقامة و على غيرها بالانعكاس من بعض الى بعض ، فكذلك هاهنا يتقومّ الناس بحسب الحياة الأخروية و الوجود العلمي المعادى بالعلماء ، والعلماء بالأولياء ، و الأولياء بالأنبياء ، و نور الهداية و الوجود المعادى إنّما تفيض منه تعالى على جوهر النبوة و تنتشر منها الى كلّ من استحكمت مناسبتها مع جوهر النبوة بالانعكاس لشدة المحبة و كثرة المواظبة على السنن ، و كثرة الذكر له بالصلوة عليه ، كما قال تعالى حكاية عنه : ﴿ فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم ﴾ (آل عمران (3): ٣١) .

و مثال ذلك نور الشمس إذا وقع على الماء، فإنها تنعكس منه الى موضع مخصوص من الحائط لا على جميع الحائط، وإنما يختص بذلك الموضع بالانعكاس لمناسبة وضعية مخصوصة بينه و بين الماء توجب تلك المناسبة ارتباطاً له بالنير بواسطة الماء في الوضع، و تلك المناسبة مسلوقة عن سائر أجزاء الحائط، و ذلك هو الموضع الذي إذا خرج منه خط الى موضع النور من الماء حصلت منه زاوية متساوية للزاوية الحاصلة من الخط الخارج من الماء الى قرص الشمس، و هذا لا يمكن إلا في موضع مخصوص من الجدار.

و من هذا المثل يتفطن اللبيب أن المناسبة التي توجب استفاضة الكمال من الله بتوسط النبي ليست أي مناسبة كانت، بل هي المناسبة المخصوصة التي لها جهة اشتراك مع المناسبة التي بين النبي و بين الله كما في المثل، فإن جميع أجزاء الجدار لها نسبة وضعية مع وجه الماء، و مع ذلك لا يستضيء من تلك الأجزاء إلا جزء خاص، و ذلك لاتحاد نسبتها الى وجه الماء مع نسبة وجه الماء الى الشمس، لكونهما واقعين معاً في سمت سطح واحد عمود على سطح الماء.

و هكذا حال نسبة البصر مع الصورة الخارجية التي يراها الانسان، فإن الخط الخارج من البصر الى المرآة و المنعكس من المرآة الى الصورة الخارجة دائماً محيطان بزواوية يكون سطح تلك الزاوية قائماً على سطح المرآة، كما يثبت في علم المناظرة و تشهد به التجربة، فكذلك حكم المناسبات المعنوية مع النور الالهي و الوجود القيومي.

و من هنا يظهر معنى قوله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، و من أبغضني فقد أبغض الله»؛ فإن المناسبات المعنوية العقلية تقتضي للجواهر المعنوية استفاضة النور العقلي بوسيلة من استولى عليه التوحيد، و تأكدت مناسبة مع الحضرة الأحديّة، و أشرق عليه النور الالهي من غير واسطة، و من لم يترسخ قدمه في ملاحظة الوحدانية لتضاعف جهة الامكانية، و ضعف جهة الوحدة و غلبة التجسّم و التكثر و الحجب لم تستحكم علاقته إلا مع الواسطة، أو مع واسطة الواسطة، فافتقر الى واسطة، أو الى وسائط، كما يفتقر الحائط الذي ليس بمكشوف للشمس الى واسطة المرآة المكشوف للماء المكشوف للشمس.

و عند اتحاد الجهة في الارتباط الموجب للشفاعاة كما أشرنا اليه يكون حكم الواسطة الثانية في الاشراف و الانارة كحكم الواسطة الأولى من غير تفاوت إلا بالقوة و الضعف مع

الاتحاد في الماهية، كما أن حكم الوساطة الأولى كحكم النير الحقيقي من غير تفاوت إلا بالأصالة والتبعية، ولهذا قال ﷺ: «من أكرم عالماً فقد أكرمني»<sup>١</sup>.  
وإذا تأمل أحد يعلم أن الى مثل هذا ترجح حقيقة الشفاعة في الدنيا أيضاً، فان السطان قد يغمض عن جريمة أصحاب الوزير و يعفو عنهم لاعتن مناسبة أصلية بينهم وبين الملك، بل لأنهم يناسبون الوزير المناسب للملك، ففاضت العناية عليهم بالوساطة لا بالأصالة، و لو ارتفعت انقطعت العناية عنهم بالكلية.

### المشعر الثاني

#### في تعيين الشفعاء ومعنى «الاذن»

قد علمت مما سبق من تفسير الشفاعة أن «الشفيع» من يكون يوم القيامة. ومعنى «الاذن» عبارة عن جعله تعالى بعض الممكنات مخصوصاً بالقرب اليه و التوسط بينه و بين من ليس له هذه المرتبة، و ذلك التقديم و التأخير إنما يكون لأجل استحقاق ذاتي و تفاوت جبلي حاصل لبعض الأعيان و الماهيات بالقياس الى البعض بحسب الفيض الأقدس، و هو ثبوتها في علم الله تعالى قبل وجودها الخارجى مع آثارها و لوازمها، فقوله تعالى: ﴿من ذا الذى يشفع﴾ استفهام انكارى، أى: لا يشفع عنده إلا بأمره.

و ذلك؛ لأن الكفرة و المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام لهم شفعاء مقربون كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى﴾ (يونس: ١٠)، و قوله تعالى: ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (يونس: ١٠)، ثم بين تعالى أنهم لا يجدون هذا المطلب لما علمت أن الشفيع هو الواقع فى سلسلة اليجاد و العلة الطولية دون الأمور الخسيسة الاتفاقية العرضية، فقال: ﴿و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم﴾ (يونس: ١٠). فان النافع للشئ ما يكون مؤثراً فى وجوده أو كمال وجوده بنحو من السببية، و الضار هو عدم ذلك الشئ أو ما يساوقه، فأخبر تعالى هاهنا أنه لا شفاعة عنده إلا من استثناه الله بقوله: «إلا باذنه» و نظيره قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح و الملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صواباً﴾ (النبا: ٧٨).<sup>١</sup>

و علم من هذا أن المأذون للشفاعة أولاً و بالذات ليس إلا الحقيقة المحمدية المسمى

١ . جامع الأخبار، ج ١١١، ص ١٩٦ عن أبى هريرة

فى البداية بـ«العقل الأوّل» و«القلم الأعلى» و«العقل القرآنى» عند وجودها الصورى التجردى، و فى النهاية بمحمد بن عبدالله و خاتم الأنبياء عند ظهورها البشرى الجسمانى، قال: «كنت نبياً و آدم بين الماء و الطين»<sup>١</sup>، «أنا سيّد ولد آدم و صاحب اللواء و فاتح باب الشفاعة يوم القيامة»<sup>٢</sup>.

ثم أقرب الأولياء اليه سلفاً و خلفاً بحسب التابعيّة المطلقة هو الحقيقة العلويّة المسمّى فى البداية بـ«النفس الكلية الأوليّة» و«اللوح المحفوظ» لما أفاده و كتبه القلم الأعلى و «أمّ الكتاب» الحافظ للمعانى التفصيلية الفائضة عليه بتوسط الروح الأعظم المحمديّ ﴿وإنه فى أمّ الكتاب لدينا لعلّى حكيم﴾ (الزخرف(٤٣):٤) و هو العقل الفرقانى، و ذلك عند وجودها التجردى، و فى النهاية بعيسى ابن مريم و على بن أبيطالب ﷺ، و هذا عند وجودها البشرى الجسمانى.

و من جملة المضاهات الواقعة بينهما ﷺ أنّ كلّاً منهما ممّن وقع الشك فى الهيّته. و ذلك لغلبة أوصاف الوحدة والتجرّد و الولاية عليهما.

ثمّ الأقرب فالأقرب من العقول و النفوس الكلية بعد العقل الأوّل و النفس الأولى، الظاهرة فى صور الأنبياء و المرسلين سابقاً و صور الأولياء و الأئمة المعصومين لاحقاً سلام الله عليهم أجمعين، ثمّ الحكماء و العلماء الذين منازلهم دون منازل الأنبياء و الأولياء إذا اقتبسوا أنوار علومهم من مشكوة النبوة و الولاية، و إلّا فليسوا من الحكماء و العلماء فى شىء إلّا بالمجاز، و ذلك لأنّ الوصول الى الله تعالى و نيل روح الوجود من المنبع الحقيقى لا يمكن إلّا باتّباع الأنبياء و الأولياء صلوات الله عليهم أجمعين، إذ العقل لا يهتدى اليه اهتداءً يطمئنّ به القلوب و يرتفع عن صاحبه الريب و الشك، و لاسبيل له فى معرفة الحق إلّا بأنّه ينظر فى الممكنات و يستدل بها على موجدها و هو الحق تعالى، ثمّ على وحدته و جوبه و علمه و قدرته، و لا يعلم من صفاته الثبوتية إلّا هذا القدر و من صفاته التقديسية أنّه ليس بجسم و لاجسمانىّ و لازمانىّ و لامكانىّ و أمثال ذلك.

و ليس هذا الاستدلال إلّا من وراء الحجب، إذ لا يحضر عنده إلّا مفهومات ذهنية و معقولات ثانية لا يسمن و لا يغنى من جوع، و هذا بعينه كمن أراد أن يستغنى بمفهوم الحلاوة

١. بحار الأنوار، ج١٦، ص٤٠٢، ح١؛ تحفة الأحوذى، ج١٠، ص٥٦

٢. الأمالى للصدوق، ص٩٣

عن السكر و بمفهوم السلطنة عن السلطان ، فأصحاب العقول كلها كالذين قال الله فيهم : ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ (فصلت (٤١): ٤٤) ، لأنهم يجعلون الحق بعيداً عن أنفسهم و يكتفون عن ذات الحق الأول و مشاهدة الذوات المقدسة العقلية و ملاقات حقائق أهل الجبروت و الملكوت ، القاطنين في طبقات الوجود بمفهومات ذهنية و حكايات مثالية ، و مع هذا لايجرى لهم طريق الاستدلال إلا في الذهنيّات و الكليات التي هي طور العقل ، و أما في الأمور التي هي وراء طور العقل من أحوال الآخرة و أحكام البرازخ فيثبت فيها عقولهم و يقف من غير أن يهتدى إليها إلا باتّباع الشريعة .

ولهذا اعترف شيخهم و رئيسهم بالعجز في ادراك المعاد الجسماني<sup>١</sup> وصرّح بأن لا سبيل للعقل اليه إلا من جهة تصديق خبر النبوة التي أتى بها سيّدنا و مولانا محمد ﷺ . و من هنا يظهر معنى الشفاعة و معنى كون النبي ﷺ مأذوناً فيها و معنى كون الشفاعة منحصرأ فيه بالأصالة ، فإنّ النجاة من العقاب الدائم لا يمكن للانسان بحسب الكمال العلمي للقوة النظرية - و هو المراد من الايمان - إلا باستفاضة الحقائق العلمية من معدن النبوة الختمية صلوات الله على الصادع بها و آله ، إمّا بغير واسطة - كما للأولياء - أو بواسطتهم كما للعلماء - أو بحسب الحكاية و التمثيل كما للعوام المسلمين . قال بعض المحققين من العرفاء . «إنّ الانسان الكامل هو سبب ايجاد العالم و بقاءه ، أزلاً و أبداً ، دنياً و آخرة» .

و قال صاحب الفصوص الحكيمة : «فهو الانسان الحادث الأزلي ، و النشء الدائم الأبدى ، و الكلمة الفاصلة الجامعة» .<sup>٢</sup>

قال بعض الشارحين لكلامه : «أما «حدوثه الذاتي» فلعدم اقتضائه من حيث هي هي الوجود ، و أمّا سحدوثة الزماني ، فلكون نشأة العنصرية مسبوقه بالعدم الزماني ، و أمّا «أزليته» فبالوجود العلمي ، فعينه الثانية أزلية و بالوجود الروحاني ، فلائنه غير زماني متعال عن أحكامه مطلقاً ، و اليه الاشارة بقول النبي ﷺ «نحن الآخرون السابقون»<sup>٣</sup> و أمّا دوامه و أبديته فلبقاءه ببقاء موجدته دنياً و آخرة .

١ . الالهيات من الشفاء ، الفصل السابع من المقالة التاسعة ، ص ٥٤٤

٢ . شرح فصوص الحكم ، ص ٣٥٣

٣ . صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٦٥ ؛ مناقب آل أبي طالب ، ج ٣ ، ص ٦١

و أيضاً كل ما هو أزلي فهو أبدي و بالعكس، و إلّا يلزم تخلف المعلول عن العلة أو التسلسل في العلل، لأنّ علته إن كانت أزليّة لزم التخلف، و إن لم يكن كذلك يجب استنادها أيضاً الى علة حادثة بالزمان، و حينئذ إن كان للزمان فيها مدخل يجب أن يكون معلولها غير أبدي لكون أجزاء الزمان متجدّدة متصرمة بالضرورة - و الفرض بخلافه - و إن لم يكن فيها مدخل فالكلام فيها كالكلام في الأوّل فيتسلسل، و التسلسل في العلل التي لا مدخل للزمان فيها باطل، و إلّا يلزم نفى الواجب .

فالأبديات مستندة الى علل أزليّة أبدية، كما أنّ الحوادث الزمانيّة مستندة الى علل متجدّدة متصرمة، و النفوس الناطقة الانسانية حدوثها بحسب التعلّق بالأبدان لا بحسب ذواتها، و الصور الأخرويّة كما أنّها أبدية كذلك أزليّة حاصلة في الحضرة العلميّة و الكتب العقليّة و الصحف النوريّة و إن كانت ظهوراتها بالنسبة اليها حادثة .

و أمّا كونه «كلمة فاصلة» فلتميّزه بين المراتب الموجبة للتكثّر و التعدّد في الحقائق، و أمّا كونه «جامعاً» فلا حاطة حقيقته بالحقائق الالهية و الكونية كلّها علماً و عيناً - انتهى . و أقول: غرض الشيخ الماتن - قدّس سره - من قوله: «فهو الانسان الحادث الأزلي و النشئ الدائم الأبدي»، هو الذي أرادته الحكماء من قولهم: «العلّة الغائية متقدّم بحسب الوجود العقلي على ما هي علة له، و متأخّر عن وجوده بحسب الخارج»<sup>١</sup> .

و قد ثبت عندهم أنّ العقول الفعّالة لها جهة الفاعلية للأشياء الكائنة، و لها جهة الغائية، فاذا كان روح النبي ﷺ - أي الحقيقة المحمديّة - متحدّاً مع العقل الأوّل فيلزم أن يكون أزليّاً و أديّاً من حيث حقيقته، حادثاً من حيث بشريّته .

أمّا أزليّته: فباعتبار مبدئيّته للأشياء بحسب صورتها العلمية الثابتة في علم الله . و أمّا أديّته: فلكونها الثمرة القصوى لوجود الخلائق، أو لا ترى أنّ جميع الموجودات العنصريّة لها توجّهات و حركات نحو الكمال، فالعناصر تتحرّك نحو الجماد، و الجماد يتوجّه الى النبات، و النبات الى الحيوان، و هو الى الانسان، و أوّل الانسان ذوالعقل (هو العقل) الهيلواني، و هو يتوجّه في تحصيل الكمال الى العقل الفعّال، بعد طي مراتب العقل بالملكة و العقل بالفعل فيصير مرتقيّاً الى ما ينزل منها، و ذلك العقل صار ثمرة شجرة هذا العالم بعد أن كان بذر هذه الشجرة، فما يكون بذراً صار ثمرة .

فانظر الى حكمة البارئ و قدرته كيف ينقل البذر فى تقاليب الأطوار الى أن يبلغ مرتبة الثمار ، فيبتدى أوله و هو بذر يفسد لبه فى الأرض و يفنى عن نفسه فى الأماكن الغريبة عن ذاته ، ثم يستحيل و ينقل بقوته النامية من حال الى حال و من طور الى طور ، حتى ينتهى آخره الى ما كان أولاً و يصل الى درجة اللب التى كان عليها سابقاً مع عدد كثير من نوع ذاته و فوائد كثيرة و خيرات جمّة من فروع ذاته و لوازمها و قشور صفاته ، و ضروريات هى أرباح تجارته و فوائد سفره من الأوراق المخضرة و الأغصان المثمرة و الأنوار و الأزهار ، و جميع ما يسقط منه و يضمحل و يفسد ، و هى التى بسببها تارة يكون محبوساً عن المراد مقيداً بصحبة الأضداد ، و تارة بمخالطتها و حراستها محروساً عن الاضمحلال و الفساد ، و بمعاونتها و صيانتها مصوناً عن العفونة للمواد ، فيخرج من بين فرث تلك الأوراق و الحشائش و دم العروق و الأغصان ، دهناً خالصاً ، و لباً صافياً و بذراً سالمأً غانماً باذن الله و ثمرة صالحة هى نتيجة المقدمات و الانتقالات موجودة باقية أبدية مع انفساخ أكثرها و زوالها و دثورها .

فأحسن أعمال رويّتك بملاحظة هذا التمثيل و تطبيق قرائنه و حمل ألفاظه لتظهر لك كيفية كون الحقيقة المحمدية سبباً داعياً لوجود العالم ، و نتيجة مترتبة عليه ، و كلّ ما كان كذلك كان واسطة لوجود العالم سابقاً و لاحقاً ، دنياً و آخرة ، فنحقق معنى قوله : «كنت نبياً و آدم بين الماء و الطين» ، و قوله : «لولاك لما خلقت الأفلاك»<sup>١</sup> ، و قوله «نحن الآخرون السابقون»<sup>٢</sup> فيكون شفيعاً يوم القيامة و سراجاً منيراً و هادياً ، كما أنه كان وسيلة و داعياً يوم الابتداء .

فيلزم ممّا ذكرنا أن يكون روحه ﷺ أول شيء ، تعلّقت به القدرة - و إن سمى بأسماء مختلفة باعتبارات متكررة بقوله : «أول ما خلق الله نوري» و «أول ما خلق الله روحى» و فى روايته : «العقل» و فى روايته «القلم» و فى روايته : «اللوح»<sup>٣</sup> .

قال بعض الكبراء : أول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي يسمى «العقل» و هو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب عليه فى قوله : «أقبل» فأقبل ثم قال له : «أدبر» فأدبر -

١ . قال المحدث القاوقچى فى اللؤلؤ الموصوف ، ص ٦٦ : حديث «لولاك لما خلقت الأفلاك» لم يرد بهذا اللفظ بل ورد «لولاك ما خلقت الجنة» و «لولاك ما خلقت النار» و عند ابن عساکر «لولاك لما خلقت الدنيا» انتهى . [شرح إحقاق الحق ، ج ١ ، ص ٤٣٠]

٢ . صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٦٥

٣ . ينابيع المودة ، ج ١ ، ص ٤٥ ، ح ٤ ؛ بحار الأنوار ، ج ١ ، ص ٩٧ ، ح ٨ ؛ فتح البارئ ، ج ٦ ، ص ٢٠٦ ؛ الجواهر السنّية ، ص ١٤٥

كما جاء في الحديث المنقول في كتاب الكافي<sup>١</sup> وغيره، و لَمَّا سَمَّاهُ «قَلَمًا» قال له: «أجر بما هو كائن الى يوم القيامة»<sup>٢</sup>، فبحسب كلِّ صفة يسمَّى باسم آخر، فقد كثرت الأسماء و المسمَّى واحد، فباعتبار أنَّه كان درَّةً صدف الموجودات سمَّى «درَّةً» و «جوهرة» كما جاء في الخبر: «أول ما خلق الله جوهرة مثل درَّةٍ فنظر اليها فذابت، فخلق منها كذا و كذا»<sup>٣</sup>، و باعتبار نورانيَّة و ظهوره بذاته و ظهور الخلائق به سمَّى «نورًا» و باعتبار تجرُّد ذاته عن الأكوان و حضوره عند ذاته سمَّى «عقلا بالفعل»، و باعتبار غلبة الصفات الملكية و الأخلاق الحسنة سمَّى «ملكاً» و باعتبار تصويره للحقائق مفصلة على ألواح النفوس الناطقة سمَّى «قلمًا».

و إذا أمعنت النظر وجدت كلِّما وصف به العقل و حكى منه فهو خاصية من خواص روحه - عليه و على آله الصلوات - و هو مثل قوله: «أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبلي، فأقبل. ثم قال له: أدبر، فأدبر»، و هذا بعينه هو روحه، إذ قال له: «أقبل الى الدنيا رحمة للعالمين، فأقبل» ثم قال له: «أدبر، فأدبر»، أى: ارجع الى ربك، فأدبر عن الدنيا و رجع الى ربِّه ليلة المعراج، ثم قال للعقل: «و عزَّتى و جلالى ما خلقت خلقاً أحب الى منك»، و فى رواية «أعظم»، و هذا هو حاله عليه السلام؛ لأنَّه كان حبيب الله و أحبَّ الله و أحبَّ الخلق اليه و أعظمهم عنده، و قوله تعالى للعقل: «بك أعرف و بك آخذ و بك أعطى و بك أعاقب و بك أثيب»، فهذا كلُّه حال النبي عليه السلام، لأنَّ من لم يعرف النبي بالنبوة و الرسالة لم يعرف الله و لو كان ألف دليل على معرفة الله، كما يعلمه أهل الحق بالايمان الكشفى الاشرافى - بعد الايمان الغيبى الاقتدائى التبعى -.

فمعنى الحديث عند أهل البصيرة: إنَّ بمعرفتك أعرف - أى: من عرفك بالنبوة عرفنى بالربوبية - و بك آخذ - أى: آخذ طاعة من أخذ منك ما آتيته من الدين و الشريعة - و بك أعطى - أى: بشفاعتك أعطى درجة أهل الدرجات، كما روى عنه عليه السلام: «الناس محتاجون الى شفاعتى حتى ابراهيم عليه السلام». - و بك أعاقب و بك أثيب و ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ

١. الكافي، ج ١، ص ١٠، ح ١.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٩٣، ح ٢٥.

٣. شرح فصوص الحكم للقيصرى، ص ٩٨٩.

به ولتصبره قال أفررتم وأخذتم على ذلكم اصبري قالوا أفرنا قال فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴿آل عمران (٣): ٨١﴾ وذلك لأن الله أخذ ميثاق كل نبي بعثه بأن يؤمن بمحمد و يرضى أمته بالايمان به و نصره دينه ، فمن آمن به من الأمم الماضية قبل بعثته و بعد بعثته فهو من أهل الثواب ، و من لم يؤمن به من الأولين و الآخرين فهو من أهل العقاب ، فصح فيه قوله : «بك أعاقب و بك أثيب» و من هاهنا ينكشف قوله ﷺ «لو كان موسى في زمنى لایسعه إلّا اتباعی»<sup>١</sup> .

فكل ما ذكر في معرفة «الروح الأعظم» فهو حال النبي ﷺ ، و ناهيك في الاعتقاد بكونه ﷺ متحد الحقيقة مع العقل الفعال و الروح الاعظم البرهان من قوله تعالى : ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ (الأحزاب (٣٣): ٦) ، و قوله في حديث غدیر خم مخاطباً لأمته : «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى فقال : من كنت مولاه فهذا على مولاه»<sup>٢</sup> .

بيان ذلك ، أن المراد بالمؤمنين هم العارفون الذين صارت نفوسهم عقولاً بالفعل ، و العقل بالفعل هو الموجود الحقيقي و الحياة العقلية الأخرى ، و النبي بروحه المقدس سبب لوجوداتهم الحقيقية ، و مبدأ لكمالاتهم العرفانية و منشأ لفيوض الكمالين الأولى الأقدس و الثانوى المقدس ، و علة الشيء أولى بنفس ذلك الشيء من نفسه ، إذ الشيء بالقياس الى علته بالوجوب حيث كان بالقياس الى نفسه بالامكان ، فلو لم يكن روح النبي ﷺ علة لوجوداتهم الحقيقية لم يكن أولى من أنفسهم ، فهو الأب الحقيقي لهم و لذلك كانت أزواجه أمهاتهم مراعاتاً لجانب الحقيقة .

فهو الوسط بينهم و بين الحق ، و مبدأ فطرتهم في سلسلة الافتقار النزولى و هو المرجح في كمالاتهم في سلسلة الارتقاء الصعودى ، و لا يصل اليهم فيض الحق بدونه ، لأنه الحجاب الأقدس و التعيين الأول ، فلو لم يكن أولى و أحب اليهم من أنفسهم لكانوا محجوبين بأنفسهم عنه فلم يكونوا ناجين - ، إذ نجاتهم إنما هي بالفناء فيه ، لأنه المظهر الأعظم - .

و هذه معان تحتاج الى تفصيل في المقال ، ليظهر جليلة الحال على الذكى المستبصر بأساليب الارتقاء الى الكمال ، بعد تصفية القلب عن مشوشات الدنيا و تجلية الذهن و

١ . «لو كان موسى حياً لما وسعه إلّا اتباعى» ، عوالى اللثالى ، ج ٤ ، ص ١٢١ ، ح ١٩٩ ؛ بحار الأنوار ، ج ٢٦ ، ص ٣١٦ ، ح ٧٨

٢ . الكافى ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، ح ١ .

البال، و تحصيل الاستعداد و الاتصال بالعقل الفعّال - و الله الهادى الى طريق الاصابة  
فى الأقوال و الأفعال، و بيده أزمة الأمور فى الآباد و الآزال .

### المشعر الثالث

#### فى تعيين المشفوع له

و هو كلّ من صحّت نسبته اليه من فقراء أمته، و لفظه «الصحة» يشمل الامكان الذاتى  
و الاستعدادى جميعاً، فالمراد من الأوّل المطيعون من أهل الايمان، و من الثانى العاصون  
من أمته و إن اترفوا الكبائر و اللّم مالم يصير منشأ عصيانهم جهلاً مستحكماً أو ملكة  
ذميمة راسخة بحيث يمتنع زوالها، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين .

قال القفال نصره لاهل الاعتزال: «إنّ تعالى لا يأذن فى الشفاعة لغيرالمطيعين، إذ كان  
لايجوز فى حكمته التسوية بين أهل المعصية و الطاعة». و طولّ فى بيان ذلك - و العجب  
أنّ تعلق ضرب من الشفاعة بأهل المعاصى ليس يقبح عند العقل، و المعتزلة قائلون  
بالتحسين و التقييح العقليين، فكيف يتأتى لأحد منهم أن يدعى أن تعلق الشفاعة و الرحمة  
بأهل الكبائر و العفو عن ذنوبهم قبيح فى الحكمة؟

و أمّا التسوية المذكورة فغير لازمة من جهة مجرد العفو و الشفاعة، لأنّ منزلة الكاملين  
فى العلم و العمل ليس كمنزلة العصاة من أهل الرحمة و الشفاعة .

و إن أراد أنّه لايجوز التسوية بين المطيع و العاصى فى أمر من الأمور فهو جهل  
محض، لأنّه تعالى قد سوى بينهما فى الخلق و الحياة و الرزق و اطعام الطيّبات و كثير  
من المرادات .

و إن كان المراد أنّه لايجوز التسوية بينهما فى كلّ الأمور فهو ممّا لاينكره أحد، بل  
الجميع قائلون بموجبه - و كيف لا - و المطيع لا يكون له فزع و لا يكون خائفاً من العقاب، و  
المذنب يكون فى غاية الخوف، و ربّما يدخل النار و يتألّم مدة مديدة ثمّ تتداركه الرحمة  
يخلصه الله عن ذلك العذاب، بشفاعة الرسول ﷺ .

على أنّ أكثر المعتزلة - وهم البصريون منهم - ذهبوا الى أنّ العفو عن صاحب الكبيرة  
حسن فى العقول، إلّا أنّ السمع دالّ على عدم وقوعه، و إذا كان كذلك كان الاستدلال  
العقلى على المنع من الشفاعة فى حق العصاة خطاءً إلّا ما استثناه - وهم الراسخون فى



الأوصاف الذميمة التي هي مبادئ الأعمال القبيحة - على ما هو مبين في مقامه . نعم ، هذا الاستدلال لا يستقيم على مذهب الكعبي إلا أن الجواب ما ذكرناه .

فعلم أن هذا القفال قليل الوقوف في مسلك الاعتزال ، ناقص النصيب في علم الكلام ، مع رسوخه كالزمخشري في التعصب لهذا المذهب و المبالغة في المنع عن جود الله في حق أهل الكبائر من الاسلام ، و الصد عن نيل رحمته إياهم في دار السلام .

و يمكن الجواب عن شبهة القفال بوجه آخر على طريقة أهل الكلام ، و هو أن العقاب حق الله و للمستحق أن يسقط حق نفسه بخلاف الثواب ؛ فإنه حق العبد فلا يكون الله تعالى أن يسقطه . و هذا الجواب مما ذكره الامام الرازي و هو من علماء مذهب الأشاعرة ، فكأنه ذكره على قانون الجدل الزاماً على المعتزلة ، و إلا فالأشاعرة قائلين بالاستحقاق في العبد للثواب و لا للعقاب .

و اعلم أن الناس بحسب العاقبة ستة أصناف ، لأنهم إما سعداء و هم أصحاب اليمين ، و إما أشقياء و هم أصحاب الشمال ، و إما السابقون و هم المقربون ، قال الله تعالى : ﴿ و كنتم أزواجاً ثلاثة ﴾ (الواقعة (٥٦) : ٧) .

و أصحاب الشمال : إما المطرودون الذين حق عليهم القول و هم أهل الظلمة و الحجاب الكلي ، المختوم على قلوبهم أزلاً كما قال تعالى : ﴿ و لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن و الانس ﴾ (الأعراف (٧) : ١٧٩) - ، و قد روى في الحديث الالهى الربانى : « خلقت هؤلاء للنار و لا أبالي » . و إما المنافقون الذين كانوا مستعدين بحسب الفطرة ، قابلين للنور في الأصل و النشأة ، لكن احتجبت بالرين المستفاد من اكتساب الرذائل و ارتكاب المعاصى . و أصحاب اليمين : إما أهل الفضل و الثواب ، و منهم أهل الرحمة الباقيون على سلامة نفوسهم و صفاء قلوبهم ، المتبوءون درجات الجنة على حسب استعداداتهم من فضل ربهم ، و إما أهل العفو الذين خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيئاً ، و هم قسمان : المعفو عنهم رأساً لقوة اعتقادهم و عدم رسوخ سيئاتهم ، و المعدبون حيناً ما رسخ فيهم من المعاصى حتى خلصوا عن درن ما كسبوا فنجوا ، و هم أهل العدل و العفات و الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبيهم سيئات ما كسبوا ، لكن الرحمة تداركهم و تنالهم بالآخرة .

فهذه أصناف النفوس الانسانية ، و الجميع محتاجون الى شفاعة السيد ﷺ يوم القيامة كما أنهم محتاجون الى هدايته في الدنيا ، لكن بعضهم ممتنع القبول للشفاعة لهم بالامكان